32 - ـ فصل : في قوة قهر الهوى لذة كبرى .

رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائدا في المقدار حتى إنها إذا مالت مالت بالقلب و العقل و الذهن فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النصح .

فصحت بها يوما و قد مالت بكليتها إلى شهوة : ويحك ! ففي لحظة أكلمك كلمات ثم افعلي ما بدا لك .

قالت : قل اسمع .

قلت : قد تقرر قلة ميالك إلى المباحات من الشهوات و أما جل ميلك فإلى المحرمات .

و أنا أكشف لك عن الأمرين فربما رأيت الحلوين مرين .

أما المباحات من الشهوات فمطلقة لك و لكن طريقها صعب لأن المال قد يعجز عنها و الكسب قد لا يحصل معظمها و الوقت الشريف يذهب بذلك .

ثم شغل القلب بها وقت التحصيل و في حالة الحصول و بحذر الفوات .

ثم ينغصها من النقص ما لا يخفى على مميز و أن كان مطعما فالشبع يحدث آفات و إن كان شخصيا فالملل أو الفراق أو سوء الخلق ثم ألذ النكاح أكثره إهانا للبدن إلى غير ذلك مما يطول شرحه .

و أما المحرمات : فتشتمل على ما أشرنا إليه من المباحات و تزيد عليها بأنها آفة العرض و مظنة عقاب الدنيا و فضيحتها و هناك و عيد الآخرة ثم الجزع كلما ذكرها التائب .

و في قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلا ؟ لأنه قهر بخلاف غلب الهوى فأنه يكون قوي القلب عزيزا لأنه قهر .

فالحذر الحذر من رؤية المشتهي بعين الحسن كما يرى اللص لذة أخذ المال من الحرز و لا يرى بعين فكره القطع .

و ليفتح عين البصيرة لتأمل العواقب و استحلة اللذة نغصة و انقلابها عن كونها لذة إما لملل أو لغيره من الآفات أو لا نقطاعها بامتناع الحبيب فتكون المعصية الأولى كلقمة تناولها جائع فما ردت كلب الجوع بل شهت الطعام .

و ليتذكر الانسان لذة قهر الهوى مع تأمل فوائد الصبر عنه .

فمن وقف لذلك كانت سلامه قريبة منه